إمتاع الأسماع

بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الخامس

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8

90000>

9782745122087

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

* * *

تم بحمد الله تعالى وحُسن توفيقه

الجزء الخامس من

إمتاع الأسماع للمقريزي

ويليه بمشيئة الله الجزء السادس وأوله :

[فصل في ذكر ذرية رسول الله ﷺ]

* * *

فصل في ذكر أبناء رسول الله ﷺ

إعلم أنه كان لرسول الله ﷺ ثلاثة بنين : القاسم ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وفي رواية مدارها على داود بن المحبِّر – صاحب كتاب (العقل) – أن عائشة رضي الله عنها جاءت بسقط فسماه النبي ﷺ : عبد الله ، وكناها به ، وفيه نظر .

فالقاسم أمه خديجة بنت خويلد ، وهو أكبر ولده ، وبه يُكَنَّى ، وقد مشى وهو ابن سنتين ، وعبد الله أيضاً أمّه خديجة ، ويقال له الطيب والطاهر ، وُلد بعد النبوَّة ، ومات صغيراً بمكة ، فقال العاص بن وائل : محمد أبتر لا يعيش له ذكر ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾[1] .

وروى جعفر بن محمد الصادق عن أبيه قال : توفي القاسم ابن النبي ﷺ بمكة فمر رسول الله ﷺ وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو ابن العاص ، فقال عمرو حين رأى رسول الله ﷺ : إني لأشنؤه ، فقال العاص : لا جرم لقد أصبح [أبتراً] ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾[1] .

---

(١) الكوثر : ٣ ، ﴿ **شانئك** ﴾ أي مبغضك يا محمد ، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق ، والبرهان الساطع ، والنور المبين ، ﴿ **هو الأبتر** ﴾ الأقل الأذل ، المنقطع ذكره .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة : نزلت في العاص بن وائل ، إذا ذُكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه ، فإنه رجل أبتر ، لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره ، فأنزل الله تعالى هذه السورة .

وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبة بن أبي معيط ، وقال ابن عباس وعكرمة : نزلت في كعب ابن الأشرف ، وجماعة من كفار قريش .

وقال البزار : حدثنا زيادة بن يحيى الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة ، فقالت له قريش : أنت سيدهم ، ألا ترى إلى هذا الصنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة ، وأهل السقاية ، فقال : أنتم خير منه .

قال : فنزلت : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، وهكذا رواه البزار ، وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء قال : نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ ، فذهب أبو لهب إلى المشركين ، فقال : بُتر محمد الليلة ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ .

وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل ، وعنه ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، يعني عدوك ، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذُكر وغيرهم . وقال عكرمة : الأبتر هو الفرد . =

ويقال : إن عبد الله غير الطيب وغير الطاهر ، وروى معمر عن ابن هشام أنه قال : زعم بعض العلماء أنها ولدت - يعني خديجة - ولداً يسمى الطاهر ، وقال ابن إسحق : ولدت له خديجة : زينب ورُقية ، وأم كلثوم وفاطمة ، والقاسم - وبه كان يكنى - والطاهر والطيب ، فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه ، وقد قيل : بل عبد الله هو الطيب وهو الطاهر .

قال قتادة : ولدت له خديجة غلامين وأربع بنات ، القاسم - وبه كان يكنى - وعاش حتى مشى ، وعبد الله مات صغيراً ، ومن النساء : فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم .

وقال الزبير بن بكار : ولد لرسول الله ﷺ القاسم - وهو أكبر ولده - ثم زينب ، ثم عبد الله ، وكان يقال له الطيب ويقال الطاهر ، وُلد بعد النبوة ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، هكذا الأول ثم الأول ، ثم مات القاسم بمكة ، وهو أول ميت ، ولد بعد الوحي ، وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة ، أمهم كلهم خديجة ، فهذا قول مصعب والزبير .

وأكثر أهل النسب [على] أن عبد الله هو الطيب والطاهر بثلاثة أسماء ، وقال الكلبي[1] : زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله ، وكان يقال له : الطيب والطاهر ، قال : وهذا هو الصحيح ، وغيره تخليط .

= وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بُتر ، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بُتر ، فأنزل الله : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي مات انقطع ذكره ، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره .

وحاشا وكلا ، بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمراً على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد ، (تفسير ابن كثير) : ٤ / ٥٩٨ ، (تنوير المقباس) : ٥٢٠ ، (البحر المحيط) : ١٠ / ٥٥٧ ، (فتح الباري) : ٨ / ٩٤٨ - ٩٤٩ ، كتاب التفسير : باب (١٠٨) سورة ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ ، (الكشاف) : ٤ / ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(١) (جمهرة النسب للكلبي) : ٣٠ .

وقال ابن حزم[1] : وروينا من طريق هشام بن عروة عن أبيه ، أنه كان له عليه السلام [ولد] اسمه عبد العزى قبل النبوة ، قال : وهذا بعيد ، والخبر مرسل . ولا حجة في مرسل .

وإبراهيم أمه مارية القبطية ، ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية بالموضع الذي يقال له : مشربة أم إبراهيم ، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبي ﷺ ، امرأة أبي رافع ، فبشَّر أبو رافع [به][2] النبي ﷺ ، فوهب له عبداً ، فلما كان يوم سابعه عقَّ عنه بكبشين ، وحلق رأسه ، حلقه أبو هند البياضي من الأنصار ، قال الزبير بن بكار : وسماه يومئذ ، وتصدق بوزن شعره ورِقاً على المساكين ، وأخذوا شعره فجعلوه في الأرض مدفوناً[3] .

---

(١) (جمهرة أنساب العرب لابن حزم) : ١٦ .

(٢) زيادة للسياق من (المواهب) .

(٣) (المواهب اللدنية) : ٦٨/٢ ، وقال ابن الجوزي في ذكر أولاد رسول الله ﷺ الذكور من أولاده : القاسم، أمه خديجة ، وبه كان يكنى ﷺ ، وهو أول من مات من أولاده ، وعاش سنتين . وعبد الله : وهو « الطاهر والطيب » ، ولد له في الإسلام - يعني بعد الرسالة - وقال الهيثم بن عدي : حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال : ولدت له خديجة عبد العزى ، وعبد مناف ، والقاسم ، قلت لهشام : فأين الطيب والطاهر ؟ قال: هذا ما وضعتم أنتم يا أهل العراق ، فأما أشياخنا فقالوا : عبد العزى وعبد مناف . قال المصنف : الهيثم كذاب لا يلتفت إلى قوله ، قال لنا شيخنا ابن ناصر : لم يُسمِّ رسول الله ﷺ عبد مناف ولا عبد العزى قط ، وقال عروة : ولدت خديجة للنبي ﷺ القاسم ، والطاهر ، وعبد الله ، والمُطيَّب .

وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كان للنبي ﷺ أربعة غِلْمَة : إبراهيم ، والقاسم ، والطاهر ، والمطهَّر .

قال أبو بكر البرقي : إن الطاهر هو الطيب ، وهو عبد الله ، وفرَّق قوم بينهما ، ويقال : إن الطيب والمُطيَّب وُلدا في بطن ، والطاهر والمطهَّر ولدا في بطن . (تلقيح فهوم أهل الأثر) : ٣٠ ، ذكر أولاد رسول الله ﷺ ، (الوافي بالوفيات) : ١ / ٨١ ، أولاده ﷺ .

قال محققه : ومما يدحض قول من قال : أن النبي ﷺ ولدت له خديجة فيمن ولدت من الذكور من تسمى بعبد العزى ، ما قاله بحيرا الراهب لرسول الله ﷺ : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال رسول الله ﷺ : وأي حق لهما عندي ؟ لا تسألني بحق اللات والعزى ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ، وما تأملتهما بالنظر إليهما كراهة لهما ، ولكن اسألني بالله ، أخبرك عما تسألني عنه إن كان عندي علم ، قال بحيرا : فبالله أسألك ، وجعل يسأله عن أشياء من أحواله فيخبره . (دلائل أبي نعيم) : ١ / ١٦٨ ، ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام في المرة الأولى ، وما اشتمل عليه ذلك من الدلائل المتقدمة لنبوته ﷺ وهو ابن عشر سنين ، حديث رقم (١٠٨) .

وقد صحَّ من حديث ثابت [البُناني][1] عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لي الليلة غلامٌ فسميته باسم [أبي][1] إبراهيم ، وتنافست نساء الأنصار في إبراهيم من ترضعه منهن ، وأحبوا أن يفرغوا ماريَّة للنبي ﷺ لما يعلمون من ميله إليها ، فجاءت أم بردة كبشة بنت المنذر بن زيد بن أسيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، امرأة البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار[2] [الأنصاري][3] فكلمتْ رسول الله ﷺ أن ترضعه ، فأعطاها إياه ، فكانت ترضعه بلبن ابنها ، فكان إبراهيم في بني مازن بن النجار ، إلا أن أمه تُؤتي به ثم يُعاد إلى منزل ظئرة أم بردة ، وكان رسول الله ﷺ يأتي أم بردة فيقيل عندها ، ويخرج إليه إبراهيم فيحمله ويقبله .

وكان لرسول الله ﷺ قطعة من غنم ضأن ترعى بالقف ، ولقائح بذي الجدر تروح على مارية ، وكان يُؤتى بلبنها كل ليلة فتشرب منه وتسقي ابنها إبراهيم ، فكان جسمها وجسم ابنها حسناً ، فأتى رسول الله ﷺ يوماً بإبراهيم وهو عند عائشة رضي الله عنها ، فقال : انظري إلى شبهه بي ! فقالت : ما أرى شبهاً ، قال : ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟ فقالت : من قصرت عليه اللقاح ، وسُقي ألبان الضأن ، سَمُن وابيضّ .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ما غرت على امرأة غيرتي على مارية ، وذلك لأنها كانت جميلة جعدة الشعر ، وكان رسول الله ﷺ معجباً بها ، ورزق منها الولد وحُرِمناه ، وأعطى رسول الله ﷺ أم بردة قطعة من نخل[4] .

---

(١) زيادة للنسب من (صحيح مسلم) .

(٢) زيادة للنسب من (الإصابة) .

(٣) قال ابن شاهين : عن محمد بن إبراهيم ، عن محمد بن زيد عن رجاله ، أنه شهد أُحداً وما بعدها ، قال : وهو زوج مرضعة إبراهيم ابن النبي ﷺ ، واسمها خَوْلَة بنت المنذر بن زيد (الإصابة) : ١ / ٢٧٧ ، ترجمة رقم (٦١٦) .

(٤) حديث ثابت البناني عن أنس ، ذكره المصنف وأضاف إليه سياقات بزيادة ألفاظ وعبارات أخرجته عن النص الذي ذكره الإمام مسلم في (الصحيح) ونَصه : حدثنا هداب بن خالد وشيبان بن فروخ ، كلاهما عن سليمان – واللفظ لشيبان – حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لي الليلة غلام ، فسميته باسم أبي إبراهيم ، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له : أبو سيف ، فانطلق يأتيه واتبعته ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره ، =

وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال : لما ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : أعتق أمَّ إبراهيم ولدُها[1] ، وقال : استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً[2] وكانت هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم ،

= قد امتلأ البيت دخاناً ، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت : يا أبا سيف ! أمسك ، جاء رسول الله ﷺ ، فأمسك ، فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمَّه إليه ، وقال ما شاء الله أن يقول ، فقال أنس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون .

والحديث الذي يليه : حدثنا زهير بن حرب ، ومحمد بن عبد الله بن نمير - واللفظ لزهير - قالا : حدثنا إسماعيل - وهو ابن علية - عن أيوب عن عمرو بن سعيد ، عن أنس بن مالك قال : ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال : كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه ، فيدخل البيت وإنه ليدخن ، وكان ظئره قيناً ، فيأخذه فيقبله ، ثم يرجع ، قال عمرو : فلما تُوفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ : إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة .

والقين بفتح القاف : الحداد . وفي الحديث الأول : جواز تسمية المولود يوم ولادته ، وجواز التسمية بأسماء الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وفيه استتباع العالم الكبير بعض أصحابه إذا ذهب إلى منزل قوم ونحوه ، وفيه الأدب مع الكبار ، وفيه جواز البكاء على المريض والحزن ، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر ، بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما المذموم الندب والنياحة ، والويل والثبور ، ونحو ذلك من القول الباطل ، ولهذا قال : « ولا نقول إلا ما يرضي ربنا » .

وفي الحديث الثاني بيان كريم خُلقه ﷺ ، ورحمته للعيال والضعفاء ، وفيه جواز الاسترضاع ، وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم . مختصراً من (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٨١ - ٨٣ ، كتاب الفضائل ، باب (١٥) رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ، حديث رقم (٦٢) و (٦٣) .

وسيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله تعالى في تراجم أزواج النبي ﷺ .

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن) : ٢ / ٨٤١ ، كتاب العتق ، (٢) باب أمهات الأولاد ، حديث رقم (٢٥١٥) : حدثنا علي بن محمد ، ومحمد بن إسماعيل ، قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا شريك ، عن حسين ابن عبيد الله عن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : إيما رجل ولدتْ أمتُهُ منهُ فهي مُعتقه عن دُبُر منه . ثم قال في الحديث الذي يليه (٢٥١٦) : .... عن الحسين ابن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ذُكرتْ أم إبراهيم عند رسول الله ﷺ فقال : أعتقها ولدها . ثم قال تعليقاً على الحديثين : في إسناده الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، تركه المديني وغيره ، وضعَّفه أبو حاتم وغيره ، وقال البخاري : إنه كان يُتَّهم بالزندقة . (المرجع السابق) .

(٢) (كنز العمال) : ١٢ / ٣٤٠١٩ ، وقال : في آخره : (ابن سعد عن كعب بن مالك) ، ورقم (٣٤٠٢٠) : إذا فُتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإنهم لهم ذمة ورحماً ، (البغوي ، طب ، ك - عن كعب بن مالك . ورقم (٣٤٠٢١) : إذا ملكتم القبط فأحسنوا إليهم ، فإن لهم ذمة وإن لهم رحماً . (ابن سعد عن الزهري مرسلاً) ، ورقم (٣٤٠٢٢) : إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة . (كر - عن عمر) ، ورقم (٣٤٠٢٣) : الله الله في قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله (طب - عن أم سلمة) .

وقال : لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي[1] ، ولما ولد إبراهيم أتى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فقال له : يا أبا إبراهيم .

وتوفي إبراهيم في بني مازن عند أم بردة ، وهو ابن ثمانية عشر شهراً في ذي الحجة سنة ثمان ، وقيل : بل ولد في ذي الحجة سنة ثمان وتوفي في سنة عشر ، وقيل : توفي وهو ابن ستة عشر شهراً وثمانية أيام[2] ، وقيل : توفي وهو ابن سنة وعشرة أشهر وستة أيام ، وقيل : مات وهو له إحدى وسبعون ليلة ، والأول أثبت ، وذلك سنة عشر ، فقال رسول الله ﷺ : إن له لمرضعة تتم رضاعه في الجنة[3] .

وغسلته أم بردة ، وقيل غسله الفضل بن العباس – ورسول الله ﷺ والعباس رضي الله عنه جالسان على سرير – ثم حُمل على سرير صغير ، وصلي عليه رسول الله ﷺ بالبقيع[4] ، فقيل له : يا رسول الله – أين ندفنه ؟ قال عند فرطنا عثمان ابن مظعون[5] ، وكان عثمان أول من دفن بالبقيع .

وروى ابن إسحق عن عمر ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ دفن ابنه إبراهيم ولم يصل عليه[6] والأول أصح ، وقيل : معنى لم يصل عليه ، يعني في جماعة ، أو أمر أصحابه فصلوا عليه ولم يحضرهم[7] ، لأنه شُغل عن الصلاة عليه بأمر كسوف الشمس وصلاته وخطبته .

وثبت أن رسول الله ﷺ بكى على ابنه إبراهيم دون رفع الصوت وقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يُسخط الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون[8] ،

---

(١) (كنز العمال) : ١١ / ٤٧٠ ، ذكر إبراهيم ابن النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٢٢٠٦) ، (ابن سعد عن الزهري مرسلاً) ، (كنز العمال) : ١١ / ٤٧٢ ، حديث رقم (٣٢٢١٩) ، (ابن عساكر عن البراء) .

(٢) (المعارف) : ١٤٣ ، (الاستيعاب) : ١ / ٥٦ .

(٣) (فتح الباري) : ١٠ / ٧٠٦ ، كتاب الأدب (١٠٩) باب من تسمى بأسماء الأنبياء ، حديث رقم (٦١٩٥) .

(٤) (كنز العمال) : ١١ / ٤٧٢ ، حديث رقم (٣٢٢١٨) ، (عن أنس و ابن سعد ، والروياني عن البراء) .

(٥) (الاستيعاب) : ١ / ٥٦ . (٦) (المرجع السابق) : ١ / ٥٨ .

(٧) (المرجع السابق) : ١ / ٥٩ ، قال ابن عبد البر في (المرجع السابق) : فلا يكون مخالفاً لما عليه العلماء في ذلك ، وهو أوْلى ما حمل عليه حديثها في ذلك . والله تعالى أعلم .

(٨) (المرجع السابق) : ١ / ٥٧ .

وجلس رسول الله ﷺ والعباس على شفير قبر إبراهيم ، ونزل فيه الفضل بن عباس ، و أسامة بن زيد ، وذلك يوم ثلاثاء في آخر شهر ربيع الأول ، وقيل : يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر ، ورأى رسول الله ﷺ فُرجة في اللبِن فأمر أن تُسد ، وقال : إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنه يقرُّ بعين الحي ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه(١) .

ويروي أن النبي ﷺ خرج يمشي أمام سرير إبراهيم ثم جلس على قبره ، فلما دلى في قبره ووضع دمعت عيناه ، فبكى الصحابة حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! أتبكي وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال : تدمع العين ، وتوجَّع القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، ثم دفن ، فقال رسول الله ﷺ : ما أحد يأتينا بماء نطهر به قبر إبراهيم ؟ فأتى بماء فأمر به فرش به على قبر إبراهيم ، وكان أول من رش عليه وختم عليه بيده ، وقال عند رأسه : السلام عليك .

وفي رواية : أنه وضع يده اليمنى على قبره من عند رأسه وقال : ختمت عليك بالله منَ الشيطان الرجيم ، وفي رواية : طبعت عليك بالله ، وأمر بحجر فوضع عند رأسه(١) .

ووافق موت إبراهيم عليه السلام كسوف الشمس على ثنتي عشرة ساعة من النهار ، فقال قوم : إن الشمس انكسفت لموته ، [فـ] خطبهم ﷺ فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته(٢) .

ويروى أن رسول الله ﷺ قال حين حضر قبض إبراهيم وهو مستقبل الجبل : يا جبل ! لو بك ما فيّ لهدَّك ، ولكنا نقول كما أُمرنا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين .

وخرج ابن عساكر من حديث محمد بن الحسن الأسدي ، حدثنا أبو شيبة عن أنس بن مالك قال : لما مات إبراهيم ابن النبي ، قال لهم النبي ﷺ : لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه ، فجاء فأكب عليه وبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه .

---

(١) (الاستيعاب) : ١ / ٥٩ بزيادة ألفاظ ونقصان ، لكن المعنى واحد .
(٢) (المرجع السابق) : ١ / ٥٨ ، (مسند أحمد) : ٢ / ٢٦٧ ، حديث رقم (٥٩٦٠) .

ويقال : إن السّرّ في موت ولد رسول الله ﷺ في حياته ، أنه لو عاش [لكان نبياً ، ولم يكن ليبقى لأن نبيكم آخر الأنبياء](١) .

وقد أشار حسان بن ثابت إلى هذا في قوله لما مات إبراهيم :

مضى ابنك محمودُ العواقبِ لم يُشَنْ ... بعيبٍ ولم يأْثَمْ بقـولٍ أو فعـلِ
رأى أنه لو عاش ساواك في العلا ... فآثر أن تبقى فـريداً بلا مـثلِ(٢)

وقد جاء في حديثٍ أن إبراهيم لو عاش لكان نبياً ، وليس بقوي . وفي صحيح البخاري عن السدي قال : سألت أنس بن مالك كم كان بلغ إبراهيم ابن النبي ﷺ ؟ قال : قد كان بلا مهلة ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم آخر الأنبياء .

وقد روى عيسى بن يونس عن أبي خالد قال : قلت : لا تراني أوفى ، أرأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ ، قال : مات وهو صغير ، ولو قرأت يكون بعد محمد نبي لعاش ، ولكنه لا نبي بعد محمد ﷺ(٣) .

* * *

---

(١) ما بين الحاصرتين سياقة مضطرب في (خ) ، وقد استدركناه من كتب السيرة والتراجم .

(٢) لم أجدهما في (ديوان حسان بن ثابت) .

(٣) قوله : « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » ، ورد عن ثلاثة من الصحابة ، لكن قال النووي في (التهذيب) ، في ترجمة إبراهيم : وأما ما روى عن بعض المتقدمين : « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » ، فباطل ، وجسارة على الكلام على المغيبات ، ومجازفة ، وهجوم على عظيم .

ونحوه قول ابن عبد البر في (التمهيد) : لا أدري ما هذا ! فقد وَلَدَ نوح عليه السلام غير نَبِيّ ، ولو لم يلد النبي إلا نبياً ، لكان كل أحد نبياً ، لأنهم من ولد نوح .

لكن قال الحافظ ابن حجر : ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره لما يخفى ، وكان ابن عبد البر سلف النووي . وقال أيضاً : إنه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة ، وكأنه لم يظهر له وجه تأويله ، فقال في إنكاره ما قال .

وجوابه : أن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ، ولا يُظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا الظن .

واعتَرضَ الجواب المذكور القاري بأنه بعيد جداً .

وقال ابن حجر المكي في (الفتاوى الحديثية) : قال السيوطي : صحَّ عن أنس أنه سأل النبي ﷺ =

[فصل في ذكر بنات رسول الله ﷺ]

إعلم أن إجماع من يُعتد به انعقد على أنه كان لرسول الله ﷺ أربع بنات كلهن من خديجة ، وهنَّ زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة عليهن السلام .

= عن ابنه إبراهيم ، قال : لا أدري رحمة الله على إبراهيم لو عاش لكان صدّيقاً نبياً . ورواه ابن منده والبيهقي عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، ورواه ابن عساكر عن جابر عن النبي ﷺ .

وأخرج ابن عساكر أيضاً بسنده وقال : فيه من ليس بالقوي عن عليّ بن أبي طالب : لما توفي إبراهيم أرسل النبي ﷺ إلى أمه مارية ، فجاءته ، وغسّلته ، وكفّنته ، وخرج به ، وخرج الناس معه ، فدفنه ، وأدخل يده في قبره فقال : أما والله إنه لنبي ابن نبي ، وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت ، ثم قال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يغضب الرب ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون .

وروى أبو داود أنه مات وعمره ثمانية عشر شهراً ، فلم يُصلّ عليه رسول الله ﷺ . صححه ابن خزيمة . قال الزركشي : اعتلّ من سلم ترك الصلاة عليه بعلل : منها أنه استغنى بفضيلة أبيه عن الصلاة ، كما استغنى الشهيد بفضل الشهادة . ومنها أنه لا يصلي نبي على نبي ، وقد جاء لو عاش لكان نبياً .

ولا بُعد في إثبات النبوة له مع صغره ، لأنه كعيسى القائل يوم وُلد : ﴿ **إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً** ﴾ ، وكيحيى الذي قال تعالى فيه : ﴿ **وآتيناه الحكم صبياً** ﴾ ، قال المفسرون : نُبِّيء وعمره ثلاث سنين ، واحتمال نزول جبريل بوحي لعيسى وليحيى يجري في إبراهيم ، ويرشحه أنه ﷺ صام يوم عاشوراء وعمره ثمانية أشهر ، ثم قال بعد أن نقل عن السبكي كلاماً : وبه يُعلم تحقيق نبوة سيدنا إبراهيم في حال صغره ، انتهى فاعرفه .

وقال في (المقاصد الحسنة) : الطرق الثلاثة :

أحدها : ما أخرجه ابن ماجة وغيره عن ابن عباس أنه قال : لما مات إبراهيم ابن نبي الله ﷺ صلى عليه وقال : إن له مرضعاً في الجنة ، ولو عاش لكان صديقاً ، ولو عاش لاعتقت أخواله من القبط ، وما استرق قبطي . وفي سنده إبراهيم بن عثمان الواسطي ضعيف ، ومن طريقه أخرجه ابن منده في (المعرفة) ، وقال : غريب .

ثانيها : ما رواه إسماعيل السدّي عن أنس قال : كان إبراهيم قد ملأ المهد ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى فإن نبيكم آخر الأنبياء .

ثالثها : رواه البخاري عن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى أنه قال : رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ مات صغيراً ، ولو قُضي أن يكون بعد محمد نبي عاش إبراهيم ولكن لا نبي بعده .

وأخرجه أحمد عن ابن أبي أوفى أنه كان يقول : لو كان بعد النبي ﷺ نبي ما مات ابنه . قال : وعزاه شيخنا للبخاري من حديث البراء فيه .

وروى أحمد والترمذي وغيرهما ، عن عقبة بن عامر رفعه : لو كان بعدي نبي لكان عمر . وورد عن جماعة آخرين . =

فزينب بنت رسول الله ﷺ كانت أكبر بناته ، ولدت سنة ثلاثين من مولده ، ولا خلاف أنها أسن بناته ، إلا ما لا يصح ولا يُلتفت إليه ، وإنما الخلاف بين القاسم وزينب أيهما ولد أولاً ، فقالت طائفة من أهل العلم بالنسب : أول وَلَدٍ وُلد لرسول الله ﷺ القاسم ثم زينب ، وقال ابن الكلبي : زينب ثم القاسم .

* * *

= وقال القاري ويشير إلى قوله تعالى : : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ : فإنه يومىء إلى أنه لا يعيش له ولد يصل إلى مبلغ الرجال ، فإن ولده من صلبه يقتضي أن يكون لُبَّ قلبه ، كما يقال : الولد سرّ أبيه ، ولو عاش وبلغ أربعين سنة وصار نبياً ، لزم أن يكون نبياً خاتم النبيين . ثم يقرب من هذا الحديث ما رواه أحمد والحاكم عن عقبة مرفوعاً : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب .

قلت : ومع هذا لو عاش إبراهيم وصار نبياً لكان من أتباعه ، وكذا لو صار عمر نبياً لكان من أتباعه ، كعيسى والخضر وإلياس ، فلا يناقض قوله تعالى : ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ ، إذ المعنى أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته ، ولم يكن من ملته ، وبقوله ﷺ : لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي .

وقال النجم : وأورده السيوطي في (الجامع الصغير) بلفظ : لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً ، وقال : أخرجه البارودي عن أنس ، وابن عساكر عن جابر ، وعن ابن عباس ، وعن ابن أبي أوفى . (كشف الخفا ومزيل الإلتباس) : ٢ / ١٥٦ ، حديث رقم (٢١٠١) ، (الفوائد المجموعة) : ٣٩٨ ، ذكر إبراهيم رضي الله عنه ، حديث رقم (١٣٥) ، (ضعيف سنن ابن ماجة للألباني) وقال : هذه الروايات وإن كانت موقوفة فلها حكم الرفع ، إذ هي من الأمور الغيبية التي لا مجال للرأي فيها ، فإذا عرفت هذا يتبين لك ضلال القاديانية في احتجاجهم بهذه الجملة « لو عاش إبراهيم لكان نبياً » ، على دعواهم الباطلة في استمرار النبوة بعده ﷺ ، لأنها لا تصح هكذا عنه ﷺ ، وإن ذهبوا إلى تقويتها بالآثار التي ذكرنا ، كما صنعنا نحن ، فهي تلقمهم حجراً ، وتعكس دليلهم عليهم ، إذ أنها تصرح أن وفاة إبراهيم عليه السلام صغيراً كان بسبب أنه لا نبي بعده ﷺ ، ولربما جادلوا في ذلك - كما هو دأبهم - وحاولوا أن يوهنوا من الاستدلال بهذه الآثار ، وأن يرفعوا عنها حكم الرفع ، ولكن لم ولن يستطيعوا الانفكاك مما ألزمناهم به من ضعف دليلهم هذا ولو من الوجه الأول ، وهو أنه لم يصح عنه ﷺ مرفوعاً صراحة (المرجع السابق) : ١١٥ - ١١٦ ، (٢٧) باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته ، حديث رقم (٣٣٢) ، وحديث رقم (٣٣٣) ، (الأسرار المرفوعة) : ٢٩٠ ، حديث رقم (٣٧٩) ، (المقاصد الحسنة) : ٥٤٧ - ٥٤٨ ، حديث رقم (٨٩٣) .